إشراف /فاطمة رشاد

يحدثونك عن عدن.. مع الباحث خالد قائد

عدن /محمد علي محسن:

ضمن فعالياتها الأسبوعية استضافت جمعية تنمية الثقافة والأدب،الشاعر الباحث خالد قائد صالح الذي أتحفنا بموضوعه المعنون "قراءة في سسيولوجية عدن".

بداية تم قراءة الفاتحة على روح الشهيد جلال مبارك حيدرة الذي صادف ذكرى استشهاده الثامنة 19 /10 /2010م وكذا عيد ميلاد الأستاذ الشاعر الناقد هاني محمد سعيد جرادة الذي يعاني من المرض.

وفي الأمسية تحدث الباحث خالد قائد عن الشكل الداخلي والخارجي لعدن كمدينة ساحرة جمعت كل الأطياف ولم تفرق بين يزد أو عمرو،فالكل أحبها وتطبع بها،لأنها شكلت خليطاً متجانساً في اللغة والمخاطبة مازجة كل اللهجات ما جعل الناس من مختلف المشارب ينسجم بعضهم مع بعض دون تمييز أو تقليل من قيمة الإنسان،لذا استحقت الحب من الجميع كانوا زائرين أم وافدين حلوا بها وبنوا أسراً وفتحوا بيوتاً وصاروا من أبنائها.

هذه هي سسيولوجية عدن منذ القدم.

نجيب محفوظ

المشروع الحضاري والرؤية العالمية للنص الروائي

إبداعاً وتاريخياً تنسب الريادة في الأدب العربي الحديث إلى دور ومكانة نجيب محفوظ في وضع الأدب الروائي العربي في إطار المشروع الحضاري والرؤية العالمية، لذلك يعتبر موضوعياً هو من أسس الفضاء الثقافي لهذا اللون من الأجناس الإبداعية في حياتنا.

إن المشروع الحضاري في أدب نجيب محفوظ الذي تعدد مابين الرواية والقصة والأقصوصة والمسرحية والسيرة الاجتماعية، خلق مساحات من القراءات للزمان والمكان والإنسان، فهذا الوعي الإبداعي الذي تجاوز أكثر من 60 عاماً، لم يقف كتابياً عند حدود التسجيل لواقع الإنسان المصري وفترات الحدث، بل قدم الصراعات والأزمات في صور معبرة أدبياً لا يرتقي إليها الا من كان كاتباً يدرك أهمية الرواية في تاريخ الحضارات والشعوب.

فالنص الروائي في أدب نجيب محفوظ هو إعادة كتابة تاريخ من لا تاريخ لهم، الفئات الدنيا من الناس في قاع الحياة، هناك حيث تجري أحداث وتقدر مصائر وتذهب أرواح في متاهات الضياع، وصعود رغبات الاختناق إلى حد مطاردة أشياء مجهولة في عوامل تتباعد بينها مسافات الالتقاء وتدخل في دوامة الفردية القاتلة التي تدفع بالفرد إلى الانتقام من الجميع، فالمجتمع الذي حكم على سعيد مهران بطل رواية (اللص والكلاب) بالسجن والنفي والموت عليه أن ينال نفس المصير، وهنا تصبح أزمة الفرد كونية لأن الذات مهما انسحبت من محيط الجماعة لا تستطيع إسقاطهم من دائرة صلتهم بها، إنهم أسباب استمرارها والخيوط الخفية التي تحرك مصيرها ولكن وجودهم خلف حاجز التخفي وتحولهم من حقائق إلى أشباح، هو ما يوقع الفرد في محرقة البحث عن المجهول وتوجيه الضربات عند كل بادرة شك بما هو أمامه، وعندما تكتشف قد أصبحت من قادة الفكر في مسيرة الشعوب، أسهم إعلامها في صناعة القرار الحضاري ومواجهة تحديات عالمية من حروب وأزمات وأفكار وتحولات اقتصادية وانتقال العالم إلى عصر العلوم والصراع مع المقدسات والبحث عن حرية الفرد والثورات على حكم الفردية المطلقة، في كل هذا نجد للرواية حضورها الجبار والواسع، ومن هذه الأرضية التي وقفت عليها الرواية في الغرب ظهرت عدة مدارس وأساليب في كتابتها، بل ظلت تجدد في بنائها الإبداعي وتغير في شكل تقنيتها تواكبا مع أحداث العصر، ووظفت السياسة والتاريخ وعلم النفس والعقائد والأديان والفنون في خدمة تطورها على يد أساتذة أصبحوا من عمالقة الأدب الروائي العالمي عبر عصور التاريخ.

لقد أسس نجيب محفوظ مشروع الرواية العربية، بعد إدراك ومعرفة لما جرى في الغرب في هذا الجانب، ولكن نجيب محفوظ لا يجعل من أدبه نسخاً عن أفكار وأسلوب الغرب في كتابة النص الروائي، بل هو وضع كل هذا في إطار مقدرته على التجديد فكرياً وهنا يكون التمازج بين المعرفة ومقدرة الموهبة على الارتقاء بالعمل الإبداعي وإخراجه بروح ورؤية تحمل صفات عالمها وواقعها، تسير نحو آفاق من تعالي العقل الذي لا يسقط في دوامة تكرار الشكل وأنواع الصيغ، ولا يحدد معالمه عند نقاط هي من صنع الآخر.

لذلك نجد في أدبه مراحل من النقل شكلاً ومضموناً، وبين كل مرحلة وأخرى فترات من التأمل والاستيعاب والتعرف على ما تغير وأستجد في الحياة، قبل الانتقال إلى نقلة جديدة في عالمه الأدبي.

وهذه المراحل من التأمل والإدراك هي من أعطى لأدبه طابع المشروع الحضاري والرؤية العالمية، فهو لا يسقط الفرد والمجتمع محلياً عن أحداث العالم، عندما يكتب لا يكتب عن منفرد ذاتي، ولكن عن كونية الإنسان على هذه الأرض عن معاناة عالمية، فالقومية لا تعني الوقوف عند أطراف صغيرة من الأمور، بل هي عملية فتح في الحاجز الذي يفصل بين حالة الإنسان في مجتمعه وبين الفضاء الواسع في هذا العالم وتلك بداية نحو الالتحام مع معاناة الشعوب في كل مكان، فالقهر والموت وتدمير روح الفرد وسقوطه إلى أدنى مستويات الإنهيار ومحاولة تقزيم إرادته وحقه في أبسط حقوق الحياة، حالات تشمل معظم سكان الأرض في هذا الزمان.

من المواضيع الكبرى والنوعية والأزمنة والعلاقة بين الإنسان والمقدس، طرح نجيب محفوظ أكثر من تساؤل حول هذا المصير، هل التمرد على المقدس يوجد الحل أم يقود الإنسان الى متاهات وصراعات تسقط فيها كل مناحي الخير والقيم ؟؟

وكيف تصبح حياة الفرد حالات من الهروب والبحث عن المجهول والسراب الذي يوصل الروح الى نهاية الفاجعة والسقوط الأخير.

تلك بعض الملامح التي حددتها المرحلة الفلسفية ـ النفسية والتي بدأت عام 1958م مع ظهور رواية (اولاد حارتنا) وأرست قاعدة جديدة في كتابة الأدب الروائي العربي.

إن الاغتراب الذي تعاني منه نفسية الإنسان في هذا العصر ونفي الذات إلى عوالم من العزلة والتخبط بين الملاذ والخوف، عبرت عنها روايات نجيب محفوظ برؤية إنسانية، ونجد ذلك في رواياته مثل (اللص والكلاب) عام 1961م (السمان والخريف) 1962م و(الطريق) 1964م (الشحاذ) 1965م و(ثرثرة فوق النيل) عام 1966م.

فهذا الإنسان الحائر، الباحث عن الأمان المفقود، المطارد من شبح الانتقام والضحية التي لا تجد العدل ولا حتى لحظات من الاسترخاء من تعب السير لمسافات طويلة في دروب الحياة، فهذا الجسد المنهك وتلك الروح القلقة والقادمة من دنيا المجهول وعالم تتصارع فيه الرغبات والشهوات ورحلة تتساقط فيها أنفس من كثر ما عصف بها من دوامات مرعبة، وعند ما تأتي النهاية يسقط الجسد في تلك البئر العميقة المظلمة ويسكن كل شيء فالموت هو الحل لمثل هذه الأرواح الضائعة في هذا الوجود.

تلك حالة عايشها نجيب محفوظ في الحياة وصورها إبداعياً في أعماله وفي هذا جسر الاتصال بين العقل والواقع وإدراك المسافة التي تفصل بينهما، وفي هذا تكون مقدرة الأدب على التمازج بينه وبين الحياة.

إن الجوانب المظلمة والغبار العالق على ستائر النفس، والحرمان الذي تطول فتراته حتى يوصل الذات إلى حد الجنون والخوف من أن تأتي النهاية قبل التمتع بلحظات من النعيم، والعيش على مستوى من الأحلام الصغيرة وكأن البشر قد تحولوا الى كائنات دونية لا يحق لها تخطي حدود ما فرض عليها وحبسها في دوائر من البؤس فالمسافة التي تفصل بين الميلاد والموت في حياة الفرد هي الحرمان والحلم، غير أن الضربات الموجعة تجعل حتى هذه الأحلام البسيطة تمنيات بعيدة المنال والوصول إليها لا يكون الا عبر خطوات على الجمر والدخول في عاصفة من لهيب، وذلك ما عبر عنه في مجموعة قصصية هي (دنيا الله) الصادرة عام 1962م.

هذه الحيوات الواسعة والمتعددة التي نجدها في عالم نجيب محفوظ الإبداعي حيث جاورت معاناة الإنسان في هذه الدنيا وتصاعد أزماتها، فقد ترقبها بعقل الكاتب ونفسية الفرد الذي يحمل هم الإنسانية ويمر بنفس معاناة الناس.

فهو لم ينفصل يوماً عن الحياة في الشارع المصري وأحداثه، بل هو جزء من مسيرة الحياة فيه، وتلك هي العالمية في أدب نجيب محفوظ التي أوصلته عام 1988م الى جائزة نوبل في الأدب وهو أول كاتب من العالم العربي تصل إليه هذه الجائزة.

سوف يظل تراثه الأدبي من شوامخ الآداب العالمية عبر عصور قادمة وسوف تجد فيه الأجيال صورة من حياة الإنسان المصري ـ العربي، وطالما ظلت المعاناة قائمة سوف يظل أبطاله حيوات تعيش بيننا، ونظل جزءاً منها طالما استمرت أمراض النفس الإنسانية وتصاعد القهر والرغبة في الانتقام ومطاردة المجهول.. إنها مأساة الإنسان.

نص

كلمات الشاعر/ شوقي عوض

هـــلا

(1)

منصور.. منصور..
يا خليجي عشرين
مستور.. مجبور.. في يمني السعيد

(2)

أهلاً وسهلاً..
ضيوف الخليج..
ع الرأس والعين.. في خليجي عشرين

(3)

جينا نغني..
جينا نهني..
والكل سعيد..
معتز وفخور..
ع الـــرأس والـعـيـن.. فـي خليجي عشرين..

(4)

علو الرايات
وارفعوا الهامات..
قولوا : أهلاً يا هلا..
قولوا: أهلاً يا هلا..
ع الرأس والعين.. في خليجي عشرين

سطور

طارق حنبلة

إلى الأخ وزير الثقافة.. مع التحية

سيدي الفاضل.. اسمح لي أن اتحدث معكم من منظور صريح لا يعرف المجاملة يضع النقاط على الحروف وينتصر للحقيقة والمصلحة الوطنية العليا التي أصبحت للأسف الشديد ريشة في مهب الريح.

أستاذي الكريم.. يؤسفني أن أقول لكم وبمرارة إن الوضع الثقافي في اليمن وعدن بوجه خاص سيئ للغاية وحمل في أعماقه جنيناً مشوهاً فارق الحياة منذ فترة ليست بقصيرة..لست متشائماً في تصوري ولا أركب موجة أي تهويل كما أنني أكثر من يمقت الاصطياد في الماء العكر والتقليل من جهود الآخرين.

دكتورنا العزيز.. تحدثت مراراً وتكراراً عن الوضع الثقافي والفني في عدن واليمن عموماً ووضعت نقاطاً توضح أسباب ضبابية المشهد الثقافي والفكري والفني وحالة الجزر الشديدة التي يعيشها المبدع اليمني في ظل هذه الأوضاع المتباينة والمهترئة في كثير من الأحيان.

كما أنني وضعت من وجهة نظري المتواضعة حلولاً وآليات وبدائل لتفعيل العمل الإبداعي والثقافي كشرط أساسي لانتزاع الهوية الحضارية برؤاها العصرية المتجددة ونسقها العولمي الذي يعتبر سلاحاً ذا حدين فهو بالقدر الذي قرب وجهات نظر الشعوب والأمم المختلفة اغتصب في محاور مؤثرة خصوصية الشعوب ولونها البيئي والثقافي والحضاري وحركة انفعالاتها الداخلية الدقيقة ليرسم لوحات غريبة ومضطربة في رحم وعينا وإدراكنا الخاص وبوابته الرئيسية «صورتنا الذهنية» بكل تفاصيلها ومعتقداتها ووهجها الإنساني.

سيدي الوزير إن عملية تنمية وعي الجماهير سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً وإبداعياً هي من الخطوط الرئيسية لسياسة الدولة وذلك لترسيخ قيم ومفاهيم ورؤى الوحدة والثورة والتجربة الوطنية الديمقراطية بآفاقها العصرية البناءة وألوانها التحررية الفريدة في المنطقة أملاً في خلق الشخصية الوطنية الوحدوية المتمسكة بثوابت العمل الوطني الهادف إلى ترسيخ الوحدة الوطنية كشرط أساسي لاستمرار عجلة التنمية والبناء الإنساني السليم لعقل الإنسان اليمني المثقل بكثير من الأخطاء والمفاهيم المناطقية والقبلية التي تقف عائقاً حقيقياً وتحدياً خطيراً أمام وحدة الإنسان اليمني ونمائه الحضاري.

وبالتالي فإن تفعيل آليات البناء الثقافي بمختلف أركانه وزواياه وسماته هو مسؤوليتكم أنتم بدرجة رئيسية في وزارة الثقافة والإعلام على نحو متوازن مع خطوطكم وجبهاتكم وذلك حتى نخرج من التباين المخيف في نسيج العقل اليمني المعاصر الذي يعيش حالة إعياء حقيقية في مفاصله الرئيسية نتيجة لحزمة من الأسباب والضغوطات البيئية والاجتماعية بالإضافة إلى وجود ثلة من العابثين الفاسدين الذين يشوهون ملامح أيامنا وحلمنا بالغد الأجمل..والأبهى.. الأكثر إشراقاً.

همس حائر

فاطمة رشاد

أنا لم أكن أريد أن أحترف فعل الكتابة ولكن ذلك المارد تنبأ لي بأن أحترف الحبر لأكتبك على سطوري الملتهبة بالأحزان والخوف من المجهول..

أمن واستقرار اليمن مهم لأمن واستقرار المنطقة والسلم الدولي

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية